

عودة العرب اليهود : المسألة والحل

الجزء الماضي من النقاش لوفائع الباردة . مما هي أولا مسوغات قبول الفكرة الداعية الى عودة اليهود العرب الى بلدانهم السابقة ، وما هي ثانيا أبرز الفرائع التي أتى بها كل من عارض الفكرة ، وما هي ثالثا قيمة تلك اللرائع ، وما هو رابعا وأخيرا الاضرار انسليم لبدنه ترجمة ذلك الشعار الترجمة العملية المطلوبة .

أ - مسوغات القبول :

لا يخفى على أحد ان الهجرة اليهودية الى اسرائيل هي على رأس قائمة الاولويات الاسرائيلية والصهيونية . بل ان الصهيونية ليست ، في جوهرها ، الا هجرة اليهود الى فلسطين لاقامة وطن قومي لهم دون أن نقيدهم في ذلك الاتجاه حدود معلنة (٩) . كما ان الهجرة اليهودية الى فلسطين تشكل بالنسبة لاسرائيل - علاوة على كونها الفكرة المركزية في الايديولوجية الصهيونية - المصدر الافضل لتأمين الامان المعنوي لليهود والامن الفعلي المادي لاسرائيل . وهذا يفسر تشجيع اسرائيل يهود العالم على الهجرة بدلا بما أعلنته في « وثيقة الاستقلال » في العام ١٩٤٨ ، ومرورا « بقانون العودة » للعام ١٩٥٢ ، وانتهاء « بقانون الجنسية » للعام ١٩٥٢ وما تلاه من أنظمة واجراءات في الاعوام التالية (١١) . كما ان ذلك يفسر الاجماع على موضوع الهجرة من قبل جميع الاحزاب الاسرائيلية بما في ذلك حركة « سيح » (اليسار الاسرائيلي الجديد) ، واليهود السود ، وحتى منظمي ماتزين وراكاح النواتين للصهيونية (١٢) .

وعلى الرغم من عدم نجاح الحركة الصهيونية واسرائيل في جهود تجسيم يهود العالم ، فقد ازداد عدد سكان « اسرائيل » اليهود من ٦٥٠ ألفا في العام ١٩٤٨ الى ما تجاوز مليونين ونصفا من اصل ما يقارب ١٦ مليونا من اليهود في العالم (١٣) . وغني عن الذكر ان تلك الزيادة اضافت الكثير الى قوة الدولة الصهيونية التي لم تكن ، مع ذلك ، خلوا من المشاكل الاساسية . ولعل أبرز هذه المشاكل : انقسام المجتمع عموديا بين طائفتي الاشكنازيم والسفارديم ، وما رافق ذلك من توترات وازمات مجتمعية (عنصرية ، طبقية ، وثقافية ، وسياسية) ، وتغير سمة التكوين البشري الطائفي الاسرائيلي من مجتمع « غربي » عرقيا الى مجتمع « شرقي » ، اذ انخفضت نسبة الاشكنازيم من ٩٠ ٪ في العام ١٩٤٨ الى أقل من ٤٠ ٪ الان (١٤) . بل ان الاهم من ذلك كله ، نشوء ما يمكن تسميته « بتحتي الهجرة » (١٥) امام اسرائيل وبخاصة في ظل تحول محصلة الهجرة الى الحدود السلبية وتغلب ارقام الهجرة المعاكسة من اسرائيل على ارقام الهجرة اليها مع العام ١٩٧٥ (١٦) .

وكي لا تكون « مؤشرات ١٩٧٥ » هذه مسألة عابرة (كما كان عليه

فدمت حركة المقاومة الفلسطينية ، في منتصف العام ١٩٧٥ ، مذكرة الى الملوك والرؤساء العرب اقترحت عليهم فيها تبني خطته متكاملة لتنظيم الهجره اليهودية المعاكسة من اسرائيل . وعند انطلقت الخطة من فرضية مؤداها ان اليهود الذين اقاموا في البلاد العربية تعرضوا لؤامرة صهيونية تضمنت الترغيب والتهديد لحثهم على الهجرة الى فلسطين . وقد توأكب ذلك « مع قصر نظر لدى الانظمة العربية مما حمل هؤلاء اليهود على الهجرة الى اسرائيل .. (حيث) وقعوا بين نارين : فقد خضعوا أولا لتمييز عنصري داخل اسرائيل ، وغنوا ، ثانيا ، الامل بالثور على ملجأ آخر لهم » (١) . ولذلك جاء اقتراح المقاومة الفلسطينية داعيا الدول العربية الى اعادة « الثقة الى نفوس اليهود العرب في اسرائيل ، وتنظيم حملة لاعادة تهجيرهم من اسرائيل واعادتهم الى الدول العربية التي نزحوا منها » (٢) .

ومنذئذ ، أصبحت المسألة مطروحة عمليا وواقعا ، اذ بادرت بعض الحكومات العربية (وبالذات المغرب والسودان) الى تبني اقتراح المقاومة ودعوة اليهود العرب الى العودة ، في حين عكفت حكومات أخرى على دراسة الموضوع جديا تمهيدا لاتخاذ الاجراءات اللازمة (٣) . كما ان واحدا من قادة المقاومة ، على الاقل ، قام بجهود مكثفة تمثلت في وضع دراسة لبدء الحوار حول شعار اعادة العرب اليهود الى مواطنهم الاصلية (٤) . كما تلا ذلك عقد ندوات خاصة وعامة (٥) ، وتشكيل لجان متابعة (٦) هدفها اغناء الحوار واتخاذ خطوات عملية لترجمة الشعار ، ولو جزئيا ، وربط عربية « اعادة اليهود العرب » بقطار النضال الفلسطيني والعربي المتجه نحو ازالة الكيان السياسي الصهيوني من الاراضي العربية المحتلة . واخيرا ، قامت صحيفة واحدة ، على الال ، بفتح المجال امام حوار علني على صفحاتها ، شارك فيه عدد من المفكرين والكتاب العرب طوال اكثر من شهر كامل (٧) .

ولقد كان طبيعيا ان يحتم النقاش وينقسم المتحاورون . من حيث الشكل ، بين مؤيد متحمس أو متحفظ ومعارض رافض بشساسة أو باعتدال لفكرة « اعادة اليهود العرب » (٨) . كذلك ، انقسم المتحاورون ، من حيث المضمون ، الى مجموعتين : واحدة تقبل بالفكرة لاعتبارات مبدئية و / أو عملية ، ومجموعة أخرى ترفض الفكرة ذاتها اما لاسباب مبدئية و / أو عملية ، وعلى الرغم من ان النقاش عانى ، بحكم احتدامه ، من الامراض المعتادة في كل حوار ساخن ، فانه - بالتاكيد - اسهم الى حد بعيد في تسليط الضوء على الفكرة وازالة كثير من الظلال التي احاطت بها وحجبت بمضى جوانبها . وكما لا يكون كل ذلك الجهد الذي بذله الجميع لاثراء الحوار فطرة سرعان ما تبخرت ، ومن أجل دفع الحوار خطوة جديدة الى الامام ، لا بد من محاولة جديدة لتسجيل الحقائق بعد أن زال عنها الضباب الذي نشأ في الاصل من ملاسة

الحال في مؤشرات ١٩٥٣) ، ومن أجل أن يستندم تحدي الهجرة في وجه اسرائيل ، وفي سبيل تفسيح المجتمع الصهيوني الاسرائيلي تكتيكا واستراتيجيا وصولا الى تحقيق الاهداف الفلسطينية والعربية الخاصة باقامة الدولة العلمانية الفلسطينية تمهيدا لقيام الدولة العربية العلمانية الديمقراطية في جميع أرجاء الوطن العربي ، لا بد من بني مشروع دعوة اليهود العرب للعودة الى اوطانهم الاصلية كحلقة من سلسلة المشاريع القتالية العسكرية والسياسية والاقتصادية التي يقضيها تحرير العرب لارضهم وتحقيق اهدافهم الاستراتيجية الاخرى.

ب - ذرائع الرفض (١٨) :

لما أبرز الذرائع التي يطرحها معارضو مشروع دعوة العرب ايهود للعودة الى بلدانهم الاصلية فتتلخص بالآية :

١ - تنطوي الدعوة على سحب البساط من تحت اقدام المشروع الفلسطيني الهادف الى اقامة الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين . ذلك أنه اما ان نلتزم بذلك المشروع فنبقي اليهود حيث هم لكي تشكل منهم الدولة الديمقراطية العلمانية الفتيدة ، او نسحبهم من هناك فينتفي بذلك الاساس البشري اللازم لاقامة مثل تلك الدولة .

٢ - سيؤدي تنفيذ فكرة عودة اليهود العرب الى تفرغ فلسطين المحتلة من اليهود الشرقيين ، مخففا بذلك من حدة أزمة التناقص بينهم وبين اليهود الغربيين من جهة ، ومفسحا المجال أمام استجلاب موجات هجرة جديدة من هؤلاء الاخيرين من جهة ثانية .

٣ - سيكون الاتيان باليهود العرب الى الدول العربية كمن جاء « باللب الى كرمه » . ذلك ان أحضار يهود تشبوعوا بالفكر الصهيوني طوال اكثر من ربع قرن ، سيجعل منهم طوابير خامسة وعملاء وجواسيس جاهزين للعمل لصالح اسرائيل وبخاصة وانهم - يضيف البعض - سيكونون عرضة في البلاد العربية للتمييز القومي والديني ضدهم . ناهيك عن انهم سيبتلون ، بما عرف عنهم من حذافة في أعمال التجارة ، اقتصاد البلدان العربية التي يفدون اليها ويسبرون النفط العربي حتى آخر قطرة .

٤ - ستقتصر عودة اليهود - ان عادوا - على الكبار في السن الذين لا يزالون يحملون معهم ارتباطهم بالوطن التي نشأوا فيها . وعندئذ تكون قد خففتنا عن اسرائيل عبئهم أولا ، وارهقنا انفسنا بهم ثانيا ، دون ان نفرغ اسرائيل من عنصرها البشري الذي تحشده لقتالنا ثالثا .

٥ - اليهود - في الدين والتاريخ - اشرار بطبيعتهم ، ولذلك سيكونون دوما أدوات خراب و / او هساد . فلم نأتي بالتعاون الى مقر دارنا ؟

٦ - المسألة غير مطروحة فعليا وعمليا .

ج - قيمة الذرائع :

تنطوي الذرائع المسافة اعلاه على فترتين اساسيتين :

فبعضها ، أولا ، ذاتي الى درجة السقم . وما كان ليضير فكرة ما ان تكون ذاتية طالما ان ذلك ينطبق على الواقع الموضوعي او - على الاقل - لا يجانبه كثيرا . وقد نتج عن المنحى الذاتي المفرط الذي يتبنى في كثير من الذرائع المطاة اعلاه ، عدة نواقص . فالذائبة تلك ، دفعت البعض الى خلق « حقائقهم » على حساب الحقائق القائمة و / او تولين تفسيراتهم للحقائق بالوانهم الشخصية الذاتية . كذلك ، قادتهم ذاتيتهم - في حالات أخرى - الى لوي أذرع الحقائق و / او جعلها مطلقة تنطبق على كل زمان ومكان .

فالبعض بذائته الشوفينية او الفاشية ، او ربما بكلتوبها ، قرر

- هكذا - بأن اليهود بطبيعتهم أدوات شر واقساد وانهم جيلوا على الخداع واللؤم .. وما الى ذلك من نعوت تدين صاحبها أكثر مما تستعفه . وغني عن الذكر ، في هذا المجال ، ان مثل هذه « الحججة » لا تستند الى أي أساس علمي . ذلك انه - علميا وتاريخيا - ليس هناك من شبه منقو أو مختار (بالمعنى النازي أو بالمعنى الذي ينادي به كاتوليك الكهان اليهود او الصهاينة) ، تماما مثلما ليس هناك شعب جبان أو نسيب أو ما الى هنالك من صفات . ولندكر في هذا الصدد ما روجه الاستعمار الفرنسي من الطابع المخزية التي اراد حينئذ انصافها عشوائيا بالشعب الفيننمي ، وكيف ان الحقائق عانت فانكثت نفسها وقامت بدين الاصابات الذاتية الفرنسية . وكذلك الحال مع الشعوب الصينية ، والكوبية ، والعربية ، وغيرها من الشعوب التي تعرضت - حديثا بالمقياس التاريخي - الى فيض من مفاطات لم تدم الا في خلايا العقول الفاشية .

ولعل الاخطر من هذا كله ، كسبون البعض فد قام - هكذا - بتعيين نفسه نقيها هي الدين الاسلامي وضيعا بتفاسيره ، فاجتزأ من الآيات ما حلا له ، ناسيا (أو على الأرجح متناسيا) ان اليهود من أهل الكتاب وان ما كان من أمر بعضهم ، في مكان وزمان معينين ، لا ينطبق عليهم جميعا وفي كل الاماكن والازمان .

كما ان اقرار البعض باغماض عينيه عن الحقائق القائمة والتفريز - هكذا - بأن المسألة غير مطروحة فعليا وعمليا ، أمر فيسه الكثير من الذاتية . ذلك ان المسألة مطروحة فلسطينيا من خلال ما عرضناه في مقدمة هذه الدراسة . وهي ، كذلك ، مطروحة عربيا بديل ان بعض الدول العربية (وبالسنذات العراق ، والسودان ، وأفرب ، وتونس) أعلنت فرار بوحيتها بعودة اليهود العرب ، وسنت قوانين خاصة بهدف تشجيع عودتهم . كما ان المسألة مطروحة اسرائيليا ضمن خلال ما ترويه الأرقام من ازدياد في حجم الهجرة المعاكسة ومن خلال ما أعلنته المصادر الاسرائيلية (وبالذات مصادر اليهود السود) مؤخرا من بدء عودة يهود المغرب الى وطنهم الاصيلي (١٩) .

واخيرا ، يطالعنا من نفرة الآراء و « الحقائق » الذاتية المشار اليها اعلاه ادعاء يقول بأنه لن يصادر اسرائيل الا كبار السن و / او ان من يغادرها هو بالضرورة متسبح بالفكر الصهيونية . وفيما يتعلسق بالشق الأول من الادعاء ، لا يجد المرء أي اساس علمي يدعمه . بل ان حديث الودائع ينسف ذلك الادعاء من أساسه (٢٠) . وفيما يتعلسق بأولئك الذين يسوقون « حججة » التشبوع بالفكر الصهيونية ، لا يعرفون - فيما يبدو - معنى الصهيونية التي هي - او قبل كل شيء - العودة و / او السعي من أجل دعم عودة اليهود الى صهيون . ثم ان من عاش في اسرائيل وغادرها فرقا لا يتوقع له ان يكون دعية للفكر والعمل الصهيونيين أو مؤمنا بهما .

اما الشفرة الاساسية الثانية التي تنطوي عليها الذرائع المقدمة من رافضي فكرة عودة اليهود العرب الى اوطانهم ، فتكمن في خطتهم بين سلامة المبدأ وصعوبة التطبيق . فرفض فكرة ما لانها تنطوي على تكاليف أو صعوبات فحسب ، أمر لا يحتاج الخطأ فيه الى أية ابضاحات . ذلك ان الصعوبات أو التكاليف واردة في كل مهمة كبرت أو صغرت . والمهم هو ان لا تكون التكلفة أكثر من قيمة الهدف الذي يحضيه . وفيما يخص بموضوعنا ، لا يختلف اثنان على ان هدف ازالة الكيان السياسي لاسرائيل لا يتقدم عليه أي اعتبار وتهمون من أجله كل التكاليف بشرية كانت أم مالية . وليس في مثل هذا القول أية عاطفية - كما كان يبدو لأول وهلة . ذلك ان أية حسابات علمية للارباح والخسائر في عملية اقامة الدولة الديمقراطية العلمانية على أرض فلسطين لا بد وان ترجح - بالقطع - كفة الارباح .

ولعل الصعف الذرائع قاطبة هي تلك القائلة بأن من يعود من اليهود العرب سيكونون من الجواسيس و / او طوابير خامسة . وبدون

مناقشة لتبعد الفاشي - الشوفيني الذي قد يتضمنه مثل هذا القول ، نقول : ربما يكون ذلك الافتراض صحيحا جزئيا . أي ربما يكون البعض اما عائدا في مهمة تجسسية أو جاهزا أكثر من غيره ليكون طسابورا خامسا . ولكن الجواب على هذه « المعضلة » بسيط إذ انه لا يسحق أكثر من سؤال نسالة : ألم تثبت أجهزة الاستخبارات والمباحث الداخلية العربية جدارتها أكثر من أية أجهزة في هذا الوطن ؟ وعليه فان مثل ذلك التخوف المصنم يتخلص - عند التفحص والتدقيق - إلى حجمه الحقيقي فيغدو مجرد مسالة فنية (٢١) .

د - حيثيات الخطة ومعالم تنفيذها :

لا بد ، في البداية ، من استعراض العوامل التي ظالما ساعدت على ازدياد هجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة قبل وبعد العام ١٩٤٨ ، والعوامل التي ظالما ساعدت على اضعاف تلك الهجرة ونحويلها أحيانا إلى هجرة معانسة من إسرائيل إلى الخارج ، ووظيف نتائج هذا الاستعراض التحليلي لرسم الخطة العربية لواجبة .

أما العوامل المساعدة على هجرة اليهود إلى فلسطين و اضعاف الهجرة المعانسة منها فتتلخص فيما يلي :

أولا - انلاسامية التاريخية (ما قبل العام ١٩٢٩) وبخاصه في دول أوروبا واستثمار الحركة الصهيونية لها (٢٢) .

ثانيا - ظروف مقدمات الحرب العالمية الثانية ونهاياتها (الاستعانة من يهود المسكرات فسي أوروبا الغربية ، ومن يهود أوروبا الشرقية) (٢٣) .

ثالثا - ظروف تقسيم فلسطين في العام ١٩٤٧ ، والحرب العربية الإسرائيلية الأولى في العام ١٩٤٨ وما رافقها من عواصف وردود فعل قومية متسرعه معادية لليهود (سياسيا واقتصاديا) في البلاد العربية (٢٤) .

رابعا - الانعاش الاقتصادي في إسرائيل في الاعوام (١٩٥٥ - ١٩٥٧) في أعقاب تبلور أثر التعويضات الألمانية (الرسمية والشخصية) بدءا من العام ١٩٥٣ . كذلك الانتعاش الاقتصادي في الفترة (١٩٦١ - ١٩٦٤) (٢٥) .

خامسا - النصر العسكري الإسرائيلي المذهل في العام ١٩٦٧ وما خلقه من مساعر قوية وتضامن وثقة في وسط يهود العالم (٢٦) . تماما مثلما كانت الصهيونية قد استخدمت ، في الماضي ، ولا تزال تستخدم ، تكتيك « انهويل بالخطر الخارجي » لاختفاء (٢٧) ألتائنات والوجه البتبع لإسرائيل ولتحن يهود العالم بالمعاطف مع إسرائيل والتحرك باتجاه انقاذها .

سادسا - التحرك السياسي والاعلامي الصهيوني المكثف ، وبخاصة منذ العام ١٩٦٧ ، ضد الاتحاد السوفياتي لاجراجه والضغط عليه لتشجيع هجرة اليهود السوفيات إلى إسرائيل . وقد سرتع انحياز الاتحاد السوفياتي للعرب سياسيا وعسكريا منذ العام ١٩٦٧ في حثوث الطلاق السوفياتي - الإسرائيلي ، واطلاق يد الحركة الصهيونية فسي معاداة الاتحاد السوفياتي الذي كان لتلك الحركة ممة - علاوة على العداء التابع من كونها حركة استعمارية - ثارات قديمة (٢٨) . وهذه الاخيرة ناجمة عن الموقف الصلب الذي وفتته روسيا منذ الثورة اللشفية ، إذ لم تسمح السلطات السوفياتية الا بهجرة (١٥٠٨٠٠) يهودي في الفترة (١٩١٩ - ١٩٢٣) ، وما يعادلهم في السنوات (١٩٢٤ - ١٩٣١) ، وبهجرة عشرة أشخاص فقط في الاربعينات والخمسينات ، وبهجرة خمسة أشخاص مسنين طوال الفترة ما بين ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ونهاية العام ١٩٥١ ، في حين لم تسمح بهجرة أحد فيما بين ١٩٥٢ ومنتصف ١٩٥٣ ، وهجرة ١٢٥ شخصا فقط طوال الفترة ما بين (تموز ١٩٥٣ - ايلول ١٩٥٥) ، وهجرة ١٤١٢٠ في العام

١٩٥٨ ، وهجرة مئتي يهودي في العام ١٩٦٣ (٢٩) . هذا ونسبمسي إسرائيل إلى تهجير يهود الاتحاد السوفياتي إليها لكونهم لا يمينون إسرائيل ماليا ، ولا يشكسون قوة سياسية ضاغطة على القيادة السوفياتية (كما هو الحال في الولايات المتحدة وغيرها) ، ولكونهم « كوادر علميه » استنفيد منها إسرائيل ، علاوة على الرغبة فسي استخدامهم لتعديل التوازن انبشري اطنافي في إسرائيل وذلك بروجيهم لكفه لأشكنازيم (٣٠) .

سابعا - الايديولوجيات واتواقف السوفينية العربية ، الرسمية وغير الرسمية ، طول سنوات عديدة من جهة ، وتفصير اعلامالعربي التفتدي الجديد ازاء اليهود والنرفيين منهم على نحو خاص ، من جهة ثانية . ولعل هذا هو السبب الأهم في ابقاء « حركة الفهسود السود » ، مثلا ، غير مسعده « للمشاركة في الكفاح العربي ضد الصهيونية » وكونهم غير مهيين « سوى في اتحصول على قطعة من العجينة الصهيونية في إسرائيل » (٣١) . كما أن ذلك كله ، اضافه إلى عياب برنامج ايجابي عربي لاعادة توطين اليهود العرب الاسرائيليين في الوطن العربي ، لعب دورا بارزا في « اغلاق » عقل اليهودي العربي في إسرائيل ازاء احتمالات عوده إلى موطنه الاصلي ، وبالتالي بقاءه في الدولة الصهيونية ظالما انه فير قادر لاسباب ثقافية ونفسية ومالية على الهجرة إلى الدول الغربية (٣٢) .

أما العوامل التي اضعفت الهجرة إلى إسرائيل او ساعدت على الهجرة المعانسة منها فتتلخص في التالية :

أولا - المقاومة الرسمية والشعبية العربية المحتلة في المقاطعة الاقتصادية والرفض السياسي وبالذات القتال العسكري وبخاصة منذ ظهور حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة بدءا من العام ١٩٦٥ وما اعقب ذلك من معارك كان أبرزها ما وقع في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ .

ثانيا - نضوب ما عرف باسم « مناطق الضيق » (أوروبا و الشرق ، العالم العربي) نتيجة هجرة غالبية يهود هذه المناطق إلى إسرائيل في أعقاب قيام الدولة الصهيونية (٣٣) .

ثالثا - اغراءات ما عرف باسم « مناطق الرخاء » (أميركا الشمالية والجنوبية ، أوروبا الغربية ، أستراليا ، أفريقيا الجنوبية) لليهود للبقاء فيها أو الهجرة إليها من إسرائيل وغيرها (٣٤) .

رابعا - الازمات الاقتصادية في إسرائيل ، وبخاصة في العامين (١٩٥٢ - ١٩٥٤) ، وكذلك في السنين (١٩٦٥ - ١٩٦٧) . وقد انخفض مستوى الهجرة في هاتين الفترتين بشكل ملحوظ وازدادت فيها الهجرة المعانسة من إسرائيل (٣٥) .

خامسا - عدم صهيونية العديد من اليهود وتفضيلهم لمستقبلهم الذاتي . ومن الأدلة البارزة على ذلك ، أنه عندما استقلت الجزائر لم يهاجر إلى إسرائيل الا ٧ ٪ من مجموع ١١٠ آلاف من اليهود الجزائريين . وقد فضل الباقون السفر إلى فرنسا والاقامة فيها (٣٦) . سادسا - القيود السوفياتية على هجرة اليهود إلى إسرائيل (٣٧) . ولهذا العامل أهمية بالغة ، خاصة إذا تذكرنا ان عدد اليهود فسي الاتحاد السوفياتي يكاد يعادل عدد يهود إسرائيل (٣٨) . وفي هذا المجال ، لا تلجأ الدولة السوفياتية إلى الإجراءات السلبية بمنسج اليهود من المفادرة فحسب ، بل انها بالتمييز (المفصود وغير المفصود) لصالح سكانها من اليهود تجعلهم غير راغبين في مفادرة الانحسداد السوفياتي على الرغم من الضغوط الصهيونية والإسرائيلية الهائلة عليهم . والدليل على حسن المعاملة هذه (بل ربما التفضيل) ان يهود الاتحاد السوفياتي الذين لا يشكلون الا ١٥ ٪ من مجموع السكان يشكلون ١٤٧ ٪ من الأطباء ، ١٤ ٪ من الكتاب ، و ١٠٤٤ ٪ من المحامين ، و ٣٢ ٪ من الملحنين والمؤلفين ، و ١٣ ٪ من الفنانين فسي الدولة السوفياتية (٣٩) .

سابعاً - المشاكل غير الاقتصادية داخل اسرائيل . وتلخص هذه في مشاكل الاستيعاب والتكيف وما يرافقها من احساس شديد بالفقرية والفزلة ، والروتين الحكومي المعقد والممل ، والاميازات التي تقدم للمهاجرين الجدد والتي خلفت ردود فعل عدائية في وسط المهاجرين القدامى الذين أصبحوا يجاهرون بعدائهم بكل مهاجر جديد يجيئ يسرعون في مغادرته البلاد ان حضر ، أو « اقتاعه » بالايجام عمن الحضور أن كان يفكر في ذلك (٤٠) . وأخيراً ، وليس آخر ، متسكنه التمييز العنصري الحاد داخل المجتمع الاسرائيلي وتحول الاغلييسه اليهودية الى مواطنين من الدرجة الثانية وما نتج عن ذلك من تورات وحركات رفض وتمرد (٤١) .

ثامناً - مواقف بعض الدول العربية ازاء هجرة مواطنيها ممن انيهدوا الى اسرائيل وتشجيعهم ، نفسياً ومادياً ، على البقاء في البلدان العربية المنيحة . ولعل الامثلة البارزة في هذا المجال : سوفف لبنان منذ العام ١٩٤٨ وكل من المغرب وتونس منذ العام ١٩٥٨ (٤٢) . إذن ، وبعد ان استعرضنا العوامل التي تساعد على هجرة اليهود الى اسرائيل ، ودرسنا العوامل التي تقلل من الهجرة اليها أو التي تزيد الهجرة منها ، ما هي معالم الخطة العربية التي تزيد من عاقم « تحدي الهجرة » الذي يواجه اسرائيل ، وتساعد ، في الوقت ذاته ، على تسيخ المجتمع الصهيوني فيها ، ونعزز ، بالتالي ، حركة الثورة الفلسطينية والعربية ازاء العدو الصهيوني ؟

أولاً - نشر وبرسيخ الفكر التقدمي المضاد للفكر الفاسي والتسوفيني الذي لا يميز ضد اليهود فحسب ، بل وضد الاقليات الاخرى بشكل عام .

ثانياً - تأكيد الدول العربية رسمياً ، وعلى أعلى المستويات وباتكف زخم ممكن ، موقف المبدئي التاريخي للامة العربية المسامح مع الاقليات بشكل عام ، ومع الطائفة اليهودية بشكل خاص ، وإرفاق ذلك بخطوات عملية جذرية تترز اوضاع ما تبقي من اليهود في البلدان العربية . ولعل في موقف الثورة الفلسطينية من يهود لبنان أنشاء الحرب الاهلية اللبنانية خير مرشد في هذا المجال ، ناهيك عن الموقف العراقي ، في دستور العام ١٩٢٥ ، والذي كان ساوي بين المواطنين العراقيين يهوداً وغير يهود ، في الحقوق والواجبات ، وذلك قبل ان تلغي حكومة نوري السعيد ذلك النص عملياً في الاجراءات التصحيحية التي اقدمت عليها في العام ١٩٥٠ (٤٣) .

ثالثاً - تبني الدول العربية رسمياً ، وعلى أعلى المستويات وباتكف كثافة من الجدية ، قراراً يسمح بعودة اليهود العرب الى السدول العربية ، كمواطنين اصليين ، لا رعايا ، مع تمكينهم - مادياً - من اعادة بناء مستقبلهم في وطنهم الجديد - القديم وذلك بشد أزهم عن طريق جهود « الوكالة العربية » التي نشأ لهذه الاغراض (٤٤) .

رابعاً - تمكين صلات الدول العربية بالانحاد السوفياتي وتشجيعه ، بمختلف الوسائل ، على مقاومة الضغوط الصهيونية والعربية الموجهة اليه لفتح ابواب الهجرة على مصراعها أمام اليهود السوفيات ، والسعي لدى الدولة السوفياتية من أجل اعادة اطلاق الباب نهائياً في وجه التأثيرات الصهيونية على المواطنين السوفيات ، وقبول اعادة اليهود السوفيات الذين اكتشفوا جوهر اسرائيل البشع فقادوها فعلاً أو هم في طريقهم الى مغادرتها .

وبعد ، ان الدعوة الى عودة اليهود العرب من اسرائيل الى البقاع الاصلية التي سبق لهم وعاشوا فيها على امتداد رقة الوطن العربي ، هي الوجه الاخر للدعوة الهادفة الى تنفيذ الهدف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية والخاص باقامة الدولة العلمانية الديمقراطية في فلسطين . بل ان هذه الدعوة تشكل ركناً أساسياً من اركان الهدف الاستراتيجي للامة العربية الساعي الى اقامة الدولة العربية العلمانية الديمقراطية التي لا غنى عنها كبوتقة لصهر انسان الارض العربية في امة واحدة

متلاحمة تقطع الطريق على كل محاولات الاستعمار القديمة - الجديدة التي ظلمت الى تقطيع اوصال الامة العربية بسيف « التمايز الديني » حيناً ، وبسيف « التمايز العرقي » حيناً آخر . وللمسئل الانتصار الابرز - ان كان ثمة انتصارات اخرى - في تجربة « المسلخ اللبناني » الاخيرة هو انتصار صيغة « دولة كل الطوائف » على صيغة « دولة لكل طائفة » . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، لا تشكسل الخطة الخاصة باعادة اليهود العرب الى مواطنهم الاصلية ، على عظمها وأهميتها ، الا تحدياً فرعياً أمام الامة العربية . أما التحدي الرئيسي فهو في انه لن يكون للخطة المبينة اعلاه اية قيمة ما لم يفتتح يهود اسرائيل والعالم بان اسرائيل وجدت لتزول . وهم لن يقتنعوا طالما ان نار الجبهات العربية ، باستثناء نجهة الفلسطينيين ، غير مشتعلة . كما لن يكون للخطة ذاتها اية قيمة ان لم تواجها حطسه اقتصادية وسياسية واجتماعية شاملة لتعزيز مواطنة العرب المقيمين (يهوداً وغير يهود) وتمهيد الطريق ليس أمام عودة العرب (اليهود فحسب) ، بل وافئاع العرب (من غير اليهود) بالبقاء في وطنهم أولاً ، وتمهيد الطريق امام عودة العرب المهاجرين (من غير اليهود) الى بلادهم ثانياً . وهنا بادئات يكمن التحدي الحقيقي الذي يواجه امنا العربية .

أسعد عبد الرحمن
جامعة الكويت

الحواشي

- ١ - انظر صحيفة « القيس » الكويتية في ٢٢ - ٢ - ١٩٧٦ ، ص ١ و ١٦ .
- ٢ - المصدر السابق ، ص ١٦ .
- ٣ - كما جاء في مقالة اللواء كمال عبد الحميد « لا .. لهذه الاسباب » ، « القيس » في ١ - ٣ - ١٩٧٦ .
- ٤ - انظر دراسة ابو مازن ، عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح « الصهيونية .. بداية ونهاية » (مكتب التعبئة والتنظيم في حركة فتح ١ - ١ - ١٩٧٦) .
- ٥ - من نوع الندوة الخاصة التي عقدها ابو مازن ، احد قياديين فتح ، مع عدد من الشخصيات الاعلامية الفلسطينية والعربية مفسر منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت في شهر شباط (فبراير) ١٩٧٦ . وكذلك الندوة العامة التي عمدت بدعوة من الاتحاد العام للكتسباب والصحفيين الفلسطينيين - فرع الكسويت بتاريخ ١٦ - ٢ - ١٩٧٦ والتي اشترك فيها كل من : اندكنور هاني فارس والدكتور أسعد عبد الرحمن (مؤيدان لفكرة عودة اليهود العرب) والدكتور ابراهيم مكي واللواء كمال عبد الحميد (معارضان) ، وقصد اذار الندوة وساهم فيها الاستاذ خالد الحسن احد قادة فتح . انظر تفاصيل لندوة في « القيس » بتاريخ ١٧ - ٣ - ١٩٧٦ .
- ٦ - فقد شكلت لجنة متابعة في الكويت ، مثلاً .
- ٧ - انظر صحيفة « القيس » بدءاً من ٢١ - ٢ - ١٩٧٦ وحتى ٢٠ - ٢ - ١٩٧٦ على سبيل المثال .
- ٨ - ومن الامثلة على هذه الاراء ، انظر مقالات مؤيدي الفكرة :
١ - توفيق ابو بكر « نعم لهذه الاسباب » ، « القيس » في ٢٨ و ٢٩ - ٢ - ١٩٧٦ .
ب - د. أسعد عبد الرحمن ، « التحدي الفرعي والتحصي الرئيسي » ، المصدر السابق ، في ٣ و ٤ - ١٩٧٦ .
ج - حسين خليل ، « نعم .. لاسباب قوية وانسانية » المصدر السابق ، في ٩ - ٣ - ١٩٧٦ .
د - حسين ابو النمل ، « العودة .. والتصعيد العسكري » ،

- المصدر السابق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
- ٢٤ - محارب ، المصدر السابق ، ص ٥٦ . كذلك : عبد العادر ياسين ، « عصابة مكافحة الصهيونية في العراق » ، « شؤون فلسطينية » (العدد ١٥ ، ١٩٧٢) ص ١٥٩ .
- ٢٥ - راجع : محارب ، المصدر السابق ، ص ٥٧ - ٥٨ . كذلك : حجاج ، المصدر السابق ، ص ٧٠ - ٧١ .
- ٢٦ - محارب ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .
- ٢٧ - محارب ، « الهوية الاجتماعية في إسرائيل » ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .
- ٢٨ - أنظر : داوود نحمي ، « بلجيكا : مؤتمر بروكسيل ويهود الاتحاد السوفياتي » ، « شؤون فلسطينية » (العدد ٢ ، ١٩٧١) ، ص ٢٢٤ . كذلك : الدراسة التي أعدها د. صلاح دباع بعنوان « الاتحاد السوفياتي وقضية فلسطين » (بيروت - مركز الأبحاث ، ١٩٦٨) ، ص ٦٢ - ٦٥ .
- ٢٩ - المصدر السابق ، ص ٦١ - ٦٢ .
- ٣٠ - نحمي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ . كذلك : محارب ، « اليسار الإسرائيلي الجديد » ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .
- ٣١ - أبو ردينة ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
- ٣٢ - محارب ، « الهجرة إلى إسرائيل » ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .
- ٣٣ - المصدر السابق ، ص ٥٨ - ٦٢ .
- ٣٤ - أنظر المراجع التالية : المصدر السابق ، ص ٥٨ - ٥٩ . كذلك : مصطفى عبد العزيز ، « الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة الأميركية » (بيروت - مركز الأبحاث ، ١٩٦٨) ص ١٦٤ .
- ٣٥ - حول الأزمة الاقتصادية في ١٩٥٢ - ١٩٥٤ أنظر : حجاج ، المصدر السابق ، ص ٢٩ . وحول الأزمة الثانية في ١٩٦٥ - ١٩٦٧ راجع : محارب ، « الهجرة إلى إسرائيل » ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .
- ٣٦ - المصدر ذاته .
- ٣٧ - المصدر السابق ، ص ٦٢ - ٦٧ .
- ٣٨ - دباغ ، المصدر السابق ، ص ٦١ - ٦٢ .
- ٣٩ - عبد العزيز ، « إسرائيل: يهود العالم » ، ص ١٣ و ١٧٣ .
- ٤٠ - محارب ، المصدر السابق ، ص ٦٢ - ٦٥ .
- ٤١ - أبو ردينة ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .
- ٤٢ - أنظر : محارب ، المصدر السابق ، ص ٥٧ و ٦٦ و ٦٥ . كذلك : عبد الحفيظ محارب « ظاهرة اليهود السود في إسرائيل : أسبابها وأصولها » ، « شؤون فلسطينية » (العدد ٤ ، ١٩٧١) ، ص ١٥١ .
- ٤٣ - ياسين ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
- ٤٤ - تقتضي الإشارة إلى أن أول من كتب حول هذا ، بحدود علم المؤلف ، هو عبد الحفيظ محارب ، « الهجرة إلى إسرائيل » ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

- المصدر السابق ، في ١٢ - ٢ - ١٩٧٦ .
- أما المقالات المعارضة فهي :
- ١ - اللواء كمال عبد الحميد ، « لا .. لهذه الأسباب » ، « القيس » في ١ - ٣ - ١٩٧٦ .
- ب - فتحي الحديد ، « لا لعودة الجواسيس » ، المصدر السابق ، في ٢ - ٢ - ١٩٧٦ .
- ج - د. إبراهيم مكي ، « لا نضيفوا إلى أخطائنا خطأ جديدا » ، المصدر السابق ، في ٦ - ٢ - ١٩٧٦ .
- د - د. حسين مؤنس ، « إذا عادوا .. سيثربون النفط حتى آخر قطرة » ، المصدر السابق ، في ٧ - ٢ - ١٩٧٦ .
- أما مقالة د. عزيز شكري فكانت معارة بين بينية بصفتها . انظر : « دنانيا : نعم ، واقصيا : المسألة غير مطروحة » ، المصدر السابق ، في ٨ - ٢ - ١٩٧٦ .
- ٩ - أنظر عبد الحفيظ محارب ، « الهجرة إلى إسرائيل : مشاكلها وكيفية التصدي لها » ، « شؤون فلسطينية » (العدد ١٠ ، ١٩٧٢) ، ص ٥٣ . كذلك : مصطفى عبد العزيز ، « إسرائيل ويهود النصارى : دراسة سياسية وقانونية » (بيروت - مركز الأبحاث ، ١٩٦١) ، ص ١١٧ - ١١٨ .
- ١٠ - عبد العزيز ، المصدر السابق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
- ١١ - عبد الحفيظ محارب ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .
- ١٢ - المصدر السابق ، ص ٥٣ . كذلك : عبد الحفيظ محارب « اليسار الإسرائيلي الجديد (سيج) » ، « شؤون فلسطينية » (العدد ١٩ ، ١٩٧٣) ص ٦٤ .
- ١٣ - كما ورد في : عبد الحفيظ محارب ، « الهجرة إلى إسرائيل » ، المصدر السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ . كذلك : أحمد حجاج ، « سكان إسرائيل : تحليل وتنبؤات » (بيروت - مركز الأبحاث ، ١٩٦٨) ، ص ٨٥ .
- ١٤ - كما جاء في المصادر التالية : محارب ، « الهجرة إلى إسرائيل » ، المصدر السابق ، ص ٦٢ - ٦٦ . كذلك : عودة أبو ردينة « اليهود الشرقيون في إسرائيل » ، « شؤون فلسطينية » (العدد ٥ ، ١٩٧١) ، ص ٢٩٢ - ٢٩٥ . أيضا : عبد الحفيظ محارب ، « الهوية الاجتماعية في إسرائيل » « شؤون فلسطينية » (العدد ١٥ ، ١٩٧٢) ، ص ٣٧ - ٤٣ .
- ١٥ - التعبير مستعار من دراسة عبد العزيز ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .
- ١٦ - أنظر : أبو مازن ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
- ١٧ - المقصود الهجرة العاكسة من إسرائيل ورجحان كنفها على الهجرة إلى الدولة الصهيونية في العام ١٩٥٢ - ١٩٥٤ . أنظر : حجاج ، المصدر السابق ، ص ٧٠ و ٧١ .
- ١٨ - جميع المراتع المضمنة في هذا القسم مستقاة من المقالات التي كتبت ضد عودة اليهود العرب علاوة على مقالة د. عزيز شكري الإنفة الذكر . انظر حاشية رقم ٨ .
- ١٩ - أنظر : أبو مازن ، المصدر ذاته .
- ٢٠ - المصدر السابق ، ص ٤٤ .
- ٢١ - من أجل تفاصيل أكثر عن مضمون القبول والرفض حول مسألة عودة العرب اليهود ، انظر وفتاح الندوة الخاصة بذلك والتي نشرت في « القيس » بتاريخ ١٧ - ٢ - ١٩٧٦ ، ص ١١ .
- ٢٢ - أنظر : محارب ، « الهجرة إلى إسرائيل » ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .
- ٢٣ - المصدر السابق ، ص ٥٥ - ٥٧ . كذلك : عبد العزيز ،